مستقبل اللغة العربية

ووسائل إحيائها

للاستاذ الحقق مصطفى صادق الرافعي

نقول فى مستقبل العربية إن الماضى كان مستقبلا قبل أن يصير ما ضيا ، فالعوامل الطبيعية التى أثرت فى بنائه هي نفسها التى تعين على استكناه ما بعده مما لا يزال مستقبلا إن نفذ الرأى إلى ما بعده . والتاريخ فى الحقيقة كأنه ينبت من القبور حيث دفنت القرائح والأفكار والأصول الأنسانية التى يرث منها الخلق . وهذه اللغة العربية تمتاز على اللغات كافة بارتباطها إلى الأصلين العظيمين الخالدين : القرآن ، والحديث . وهما على وجه واحد أول الدهر وآخر الدهر ، وإليهما مناط العقائد فى العالم الأسلامى كله ؛ فقد جعلا هذه اللغة ولا سبيل للغة عليها من حيث هى ، كما أنه لا سبيل للدين عليها من حيث هو ؛ وهذا مما يهون الخطب فيها إن ضعفت أو عدت عليها بعض عوادى الاجتماع ؛ فان قوة الحياة المستكنة فى أصولها لا تلبث أن تشد منها وتذهب بأمراضها عند أيسر العلاج . وليس يخفى أن الكيان الانسانى قائم على القوى الأدبية وأصل هذه القوى فى العالم الأسلامى هو القرآن ، وهو كذلك أصبح من وجوه كثيرة كأنه أصل اللغة ، فما دام كل انقلاب اجتماعى فينا لا يأتى على هذا الأصل فهو لن يأتى على تلك اللغة ، وإذا كان الحى لا ينبنى إلا من داخله ، فهو لا يهدم إلا من داخله .

فالمسألة إذن من مسائل الضعف والقوة ، لا من مسائل موت اللغة وحياتها . وها هنا أصلان عظيمان يستند إليهما الباحث فى مستقبل العربية وقلما يلتفت اليهما أحد : فالأول أن سواد الذين يتكلمون بهذه اللغة هم من أبعد الشعوب أعراقا فى تاريخ المدنية ، وذهابا فى عصورها ، وتغلغلا فى طبقات الميراث الانسانى ، وذلك أصل عظيم فى الاحتفاظ بها ، بعد أن صارت قطعة من تاريخهم ، وكأنها عناية إلهية بهذه اللغة ألا تستفيض إلا فى تلك الشعوب — والثانى أن فى العربية نفسها نوعا من الاستهواء بما فيها من جمال التركيب ، وروعة اللفظ ، وحسن الأداء ، إلى غيرها من المميزات المعروفة ، حتى أن غير أهلها ليكون فى حبهم إياها أحق بها وأهلها .

وظاهر أن لكل لغة قوية وجها سياسيا ، كما أن لكل سياسة قوية وجها لغويا ... فالشعوب قائمة على الاختلاف والتنازع ، وهنا موضع الضعف والقوة ، فأن نهض أهل العربية وكتبت لهم السلامة من تحكم المستعمرين وجنبهم الله هذه المحن التي هي فضائل السياسة فتلك نهضة العربية نفسها ، وإن ضعفوا فذلك ضعفها ، وما أراها إلا ستنهض في مصر وسوريا نهضة من يستجمع ، وربما شهد الناس دهرا يصلح أن يسمي فيه ما بين العراق إلى الاطلانطيق « جمهورية اللغة العربية » وما هو ببعيد ، والله غالب على أمره .

* * *

وتأثير التمدن الأوربي والروح الغربية في هذه اللغة لن يكون إلا على السابقة التي سلفت من تأثير علوم الفرس واليونان وغيرهم ، ولا ضرر منه على اللغة ؛ فهي قوية متينة ، تحمل ذلك وتستلحقه وتأتينا به مستعربا وإن ثبت في لندن وباريس وبرلين وغيرها كما جاءت بمثله من قبل ، وما دام فينا حفاظ ونزعة صحيحة فلا تخشى على لغتنا ضرورة من الضرورات لأن في كل تاريخ حي معرأ لمثل هذه الضرورة تبدأ فيه من جهة وتنتهي منه في جهة ، وما من شعب هو كل الناس .

* * *

ولست أرى ما يمنع انتشار اللغة وأن تعلم بها جميع العلوم ، فأن هذا شرط في إحيائها وإحيائنا ، ومتى بدأت مصر بذلك — وهي بادئة إن شاء الله — فلا تحسبن هنديا لها الحسن وحدها ، بل كل غاية هند .

* * *

بيد أن العربية لا يأتي لها بحال من الأحوال أن تغلب على كل اللهجات العامية وتستغرقها وتأخذها بدين التوحيد ، فما ذلك في طبيعتها ، ولا في طبيعة الناس ، ولكنها تفصح من هذه اللهجات ، وهذا حسبنا .

* * *

وأما خير الوسائل في إحيائها فهي عندي :

(١) إصلاح تعليم العربية وآدابها ، ونبذ هذه الدفاتر اللغة التي يدرسون فيها ، والرجوع إلى طريقة الرواة المتقدمين (الطريقة الانسكلوبيدية) مما يجمع الفن والأدب ، واللغة والبلاغة ، ويطبع الناشيء على الملكة الصحيحة ، ويستحدث له ذوقا في لغته ، ويقيم الكتب نفسها مقام العرب والرواة الذين كانوا هم أصل دولة البلاغة .

(٢) تعليم العلوم كلها — إلا علوم اللغات وآدابها — بالعربية ، وتعريب ما ليس فيها من ذلك ونشره ، ونشر الكتب العربية القيمة .

(٣) أن تعمل الأمة على إنبات كتابها وشعرائها وأدبائها ، وتفريغهم للعمل الذي يبرزوا له ، وطرق ذلك معروفة .

(٤) عناية الصحف الكبرى بلغتها وكتابتها وأساليبها ، فهي اليوم في الأفق الغربي كالهواء صحة أو وباء ، وأن تحفل بالأدب وتبذل فيه ، ولا تخص السياسة دونه بشيء ، فهو سياسة ألسنتنا وقوميتنا وتاريخنا

(٥) إيجاب حفظ القرآن أو أكثره في المدارس ، ولو على المسلمين وحدهم ، مع درس الوجوه التي يؤدى بها تأدية صحيحة ، وهذا وحده أساس متين إن لم نحكم البناء عليه فما أقرب أن يتداعى البناء كله وهنا وتراخيا والأمر يومئذ لله .

مصطفى صادق الرافعي

ختام السنة الاولى للصحيفة

قبل أن تطوى الصحيفة سفرا من صفحة وجودها وعاما طويلا قامت فيه بخدماتها المتعددة يحق لها أن تفخر برجال ضحوا بالكثير من أوقاتهم وراحتهم في سبيل خدمتها وصرفوا كل عزيز لديهم في العمل على رفع مستواها فكان ذلك باعثا على رفع شأنها والصعود بها إلى درجات المجد وأسمى مراتب التقدم والارتقاء .

يحق لها وقد أنست من الله نجاحا وتوفيقا ومن إقبال الكثيرين وامتداحهم لخطتها تباتا وتدعيما ، أن تسطر لحضرات القائمين بأعمالها صفحة ناصعة في أبرز مكان من صفحاتها بما لهم عليها من المفاخر الحميدة والاعمال الجليلة التي تذكرنا دائما بمقدار همهم ومبلغ رقيهم وعظمتهم على مر السنين والاحقاب وأن تستمر في نهوضها وتقدمها إلى الأمام بهمة لا تعرف الكلل جاعلة التقدم المطرد قاعدة لها ، والتدرج من الحسن إلى الأحسن مبدأ لا تحيد عنه قيد أنملة ولها من مؤازرة ذوي الخبرة والدراية قوة وظهيرا ، ومن حملة الأقلام الصائبة ، والآراء الناضجة ، والعقول السليمة المفكرة عونا ونصيرا . لا سيما الأخوان ازملاء الأفاضل الذين جعلوا من صفحاتها خزانة لأفكارهم : ودائرة لنشر علومهم ومعارفهم ، فكانت موردا عذبا لطلاب الفضيلة ورواد الثقافة والعلم والعرفان ؛ ومصباحا يهدى إلى طريق الهدى والرشاد :

صبري ابو سنه
مدرس بمدرسة الوادي الاميرية